١٦٥٩٩
١٦٥٩٩

مجله	الدراسات الاسلامية
تاريخ نشر	١٣٨٤ ق
شماره	الكتاب الثاني السنة الاولى
شماره مسلسل	
محل نشر	جامعة النجف الدينية
زبان	عربي
نويسنده	علامه محمد حسين الطباطبائي
تعداد صفحات	٦ - ١١
موضوع	الرابطة في المجتمع الاسلامي
سرفصلها	١ الاسلام وعنايته بالاجتماع ٢ اعتبار الاسلام رابطة الفرد والمجتمع
كيفيت	
ملاحظات	

قراءات مختارة

المرابطة في المجتمع الاسلامي

الاسلام وعنايته بالاجتماع

لا ريب أن الاسلام هو الدين الوحيد الذي أسس بنيانه على الاجتماع صريحاً ، ولن يهمل أمر الاجتماع في شأن من شؤونه . فانظر ، إن أردت زيادة تبصر في ذلك ، الى سعة الاعمال الانسانية التي تعجز عن احصائها الفكرة والى تشعبها الى اجناسها وانواعها واصنافها ، ثم انظر الى احصاء هذه الشريعة الالهية لها واحاطتها بها وبسط أحكامها عليها ، ترى عجباً . ثم انظر إلى تقليبه ذلك كله في قالب الاجتماع ، ترى انه انفذ روح الاجتماع فيها غاية ما يمكن من الانفاذ .

ثم خذ في مقايسة ما وجدته بسائر الشرائع الحقة التي يعتني بها القرآن ، وهي شرائع نوح وابراهيم وموسى وعيسى ، حتى تعاين النسبة وتعرف المنزلة . واما ما لا يعتني به القرآن الكريم من الشرائع ، كالاديان الوثنية والصابئة والمانوية والثنوية وغيرها ، فالامر فيها اظهر وأجلى .

واما الامم المتمدنة وغيرها ، فالتاريخ لا يذكر من أمرها إلا انها كانت تتبع ما ورثته من أقدم عهود الانسانية من استتباع الاجتماع بالاستخدام واجتماع الافراد تحت جامع حكومة الاستبداد والسلطة الملوكية ، فكان الاجتماع القومي والوطني والاقليمي يعيش تحت راية الملك والرئاسة ويهتدي بهداية عوامل الوراثة والمكان وغيرهما ، من غير ان يعتني امة من هذه الامم عناية

مستقلة بامره وتجعله مورداً للبحث والعمل ، حتى الامم المعظمة التي كانت لها سيادة الدنيا ، حينما شرقت شارقة الدين وأخذت في اشراقها وانارتها ، أعني امبراطورية الروم والفرس ، فانها لم تكن إلا قيصرية وكسروية ، تجتمع امرها تحت لواء الملك والسلطنة ، ويتبعها الاجتماع في رشده وغوه ، ويمكث بمكثها .

نعم ، يوجد فيما ورثوه ابحاث اجتماعية في مسفورات حكمائهم ، من امثال سقراط وافلاطون وأرسطو وغيرهم ، إلا انها كانت أوراقاً وصحائف لا ترد مورد العمل ومثلاً ذهنية لا تنزل مرحلة العين الخارج ، والتاريخ الموروث اعدل شاهد على صدق ما ذكرناه .

فأول نداء قرع سمع النوع الانساني ودعي به هذا النوع الى الاعتناء بامر الاجتماع بجعله موضوعاً مستقلا خارجاً عن زاوية الاهمال وحكم التبعية ، هو الذي نادى به صادع الاسلام ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ فدعى الناس بما نزل عليه من آيات ربه الى سعادة الحياة وطيب العيش مجتمعين ، قال تعالى : « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم » (سورة الانعام : آية ١٥٢) . وقال : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » . الى أن قال : ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ـ يشير الى حفظ المجتمع عن التفرق والانشعاب ـ واولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » : (سورة آل عمران : آية ١٠٥) . وقال : « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » : (الانعام : آية ١٥٩) ... الى غير ذلك من الآيات المطلقة الداعية الى أصل الاجتماع والاتحاد .

وقال تعالى : « إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم » (الحجرات : آية ١٠) . وقال : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » (الانفال : آية ٤٦) .

وقال: « وتعاونوا على البر والتقوى » (سورة المائدة : آية ٢) . وقال : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » (سورة آل عمران : آية ١٠٤) . الى غير ذلك من الآيات الآمرة ببناء المجتمع الاسلامي على الاتفاق والاتحاد في حيازة منافعها ومزاياها المعنوية والمادية والدفاع عنه ، على ما سنوضحه بشيء من الايضاح :

اعتبار الاسلام رابطة الفرد والمجتمع :

الطبع والايجاد يجعل اولا اجزاء ابتدائية لها آثار وخواص ، ثم يركبها ويؤلف بينها على ما فيها من جهات التباين ، فيستفيد منها فوائد جديدة مضافة الى ما للاجزاء من الفوائد المشهودة . فالانسان - مثلا - له أجزاء وأبعاض وأعضاء وقوى لها فوائد متفرقة ، مادية وروحية ، ربما ائتلفت فقويت وعظمت ، كتقل كل واحد من الاجزاء وثقل المجموع والتمكن والانضمام من جهة الى جهة ، وغير ذلك ، وربما لم تأتلف وبقيت على حال التباين والتفرق ، كالسمع والبصر والذوق والارادة والحركة ، إلا انها حينما من جهة الوحدة في التركيب تحت سيطرة الواحد الحادث الذي هو الانسان . وعند ذلك يوجد من الفوائد ما لا يوجد عند كل واحد من اجزائه ، وهي فوائد جمة ، من تقبيل الفعل والانفعال والفوائد الروحية والمادية ، ومن فوائده حصول كثرة عجيبة في تلك الفوائد في عين الوحدة ، فان المادة الانسانية - كالنطفة مثلا - اذا استكملت نشأتها قدرت على افراز شيء من المادة من نفسها ، وتربيتها انسانا تاما آخر يعمل نظائر ما كان يفعله أصله وتمتد من الافعال المادية والروحية ، فافراد الانسان على كثرتها انسان وهو واحد ،

وافعالها كثيرة عدداً واحدة نوعاً ، وهي تجتمع وتأتلف بمنزلة الماء يقسم الى آنية ، فهي مياه كثيرة ذو نوع واحد ، وهي ذات خواص كثيرة نوعها واحد وكلما جمعت المياه في مكان واحد قويت الخاصة وعظم الاثر .

وقد اعتبر الاسلام في تربية افراد هذا النوع وهدايتها الى سعادتها الحقيقية هذا المعنى الحقيقي فيها ، ولا مناص من اعتباره . قال تعالى : « وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً » (الفرقان : ٥٤) . وقال : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى » (الحجرات : ١٣) . وقال : « بعضكم من بعض » (آل عمران : ٩٥) .

وهذه الرابطة الحقيقية بين الفرد والمجتمع لا محالة تؤدي الى كينونة اخرى في المجتمع ، حسب ما يمده الاشخاص من وجودهم وقواهم وخواصهم وآثارهم ، فيكون في المجتمع نمخ ما للفرد من الوجود وخواص الوجود ، وهو ظاهر مشهود . ولذلك اعتبر القرآن للامة وجوداً واجلا وكتاباً وشعوراً وفهماً وعملا وطاعة ومعصية ، فقال : « ولكل امة اجل » ، فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » (الاعراف : ٣٤) . وقال : « كل امة تدعى الى كتابها » (الجاثية : ٢٨) . وقال : « زينا لكل امة عملهم » (الانعام : ١٠٨) . وقال : « منهم امة مقتصدة » (المائدة : ٦٦) . وقال : « امة قائمة يتلون آيات الله » (آل عمران : ١١٣) . وقال : « وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب » (الغافر : ٥) . وقال : « ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط » (يونس : ٤٧) .

ومن هنا ما نرى ان القرآن يعتني بتواريخ الامم كاعتنائه بقصص الاشخاص بل اكثر ، حينما لم يتداول في التواريخ إلا ضبط أحوال المشاهير من الملوك

والعظماء ، ولم يشتغل المؤرخون بتواريخ الامم والمجتمعات إلا بعد نزول القرآن فاشتغل بها بعض الاشتغال آحاد منهم ، كالمسعودي وابن خلدون ، حتى ظهر التحول الاخير في التاريخ النقلي بتبديل الاشخاص اسماً ، واول من سنه ـ على ما يقال ـ (اغوست كنت الفرنسي ، المتوفى سنة ١٨٥٧م).

وبالجملة : لازم ذلك ، على ما مرت الاشارة اليه ، تكون قوى وخواص اجتماعية قوية تقهر القوى والخواص الفردية عند التعارض والتضاد . على ان الحس والتجربة يشهدان بذلك في القوى والخواص الفاعلة والمنفعلة معاً ، فهيئة الجماعة وارادتها في امر ـ كما في موارد الغوغاآت وفي الهجمات الاجتماعية ـ لا تقوم لها ارادة معارضة ولا مضادة من واحد من اشخاصها واجزائها ، فلا مفر للجزء أن يتبع كله ويجرى على ما يجرى عليه ، حتى انه يسلب الشعور والفكر من افراده واجزائه . وكذا الخوف العام والدهشة العامة ـ كما في موارد الانهزام وانسلاب الامن والزلزلة والقحط والوباء ، أو مادونها ، كالرسومات المتعارفة والازياء القومية ونحوها ـ تضبط الفرد على الاتباع ، وتسلب عنه قوة الادراك والفكر .

وهذا هو الملاك في اهتمام الاسلام بشأن الاجتماع ، ذلك الاهتمام الذي لا نجد ولن نجد ما يماثله في واحد من الاديان الاخر ، ولا في سنن الملل المتمدنة ـ ولعلك لا تكاد تصدق ذلك . فان تربية الاخلاق والغرائز في الفرد ، وهي الاصل في وجود المجتمع ، لا تكاد تنجح مع كينونة الاخلاق والغرائز المعارضة والمضادة القوية القاهرة في المجتمع الا يسيراً لا قدر له عند القياس والتقدير .

فوضع أهم احكامه وشرائعه : كالحج والصلاة والجهاد والانفاق ، وبالجملة التقوى الديني : على اساس الاجتماع ، وحافظ على ذلك ، مضافاً الى قوى الحكومة الاسلامية الحافظة لشعائر الدين العامة وحدودها ، ومضافاً إلى فريضة الدعوة ،